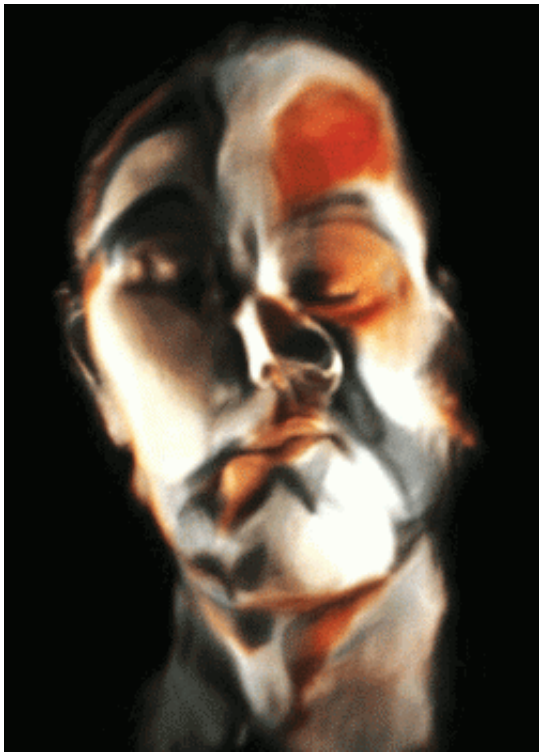
شذا شرف الدين .. خفّة المَشاهد التي لا تُحتمَل

تم النشر في 2012/12/07





ما من شعور آخر ينتابك وأنت ترى لمجموعة صور الفنانة التشكيلية شذا شرف الدين في

معرضها «خفّة المُشاهد التي لا تُحتمَل، تمارينٌ على صورة ذاتية»، غير اللهفة لإمعان النظر لنفسك وأنت تتشوه مع الجثث، حيث كل شيء يوجعك.. مع ذلك لا تصرخ، تلوذ بالصمت.

عندها فقط تدرك أنك جثة لا يوجعك شيء سوى تلك العملية التماثلية للتشوهات بمادة الألمنيوم الصلبة والقاسية كدمعة لا تسقط من عين هذا العالم، وهو يتفرج على عجزك.

أربع وعشرون لوحة لوجوه مشوَّهة، تعاونت الفنانة في إظهارها مع المصوّر طلال خوري، بتقنيّات عدّة استخدمت فيها «الألمنيوم»، الذي يتم التماري عليه للوجه الذي تلتقطه الكاميرا. شكلت فيها ثلاثيتا الرسام البريطاني فرانسيس بايكون، الذي لطالما رسم الوجه البشري ككتلة لحم أو كحالة نفسية، جوهر الفكرة، بالإضافة الى تصوير مجموعتين جديدتين استندت فيهما شرف الدين إلى صور مروّعة رأتها على «يوتيوب» لوجوه غُيّبت ملامحها ولأجساد شوهّها التعذيب.

جملة تساؤلات

جملة تساؤلات طرحتها شرف الدين، قادتها إلى إعادة اكتشاف وجوه فرانسيس بايكون، التي تارة تظهر كشاهدة على الألم، وطوراً مغلّفة فيه: «كيف أواجه هذا الكمّ من العنف المحيط بي؟ كيف أضعه في إطار؟ كيف أجعله محتملاً؟ إلى إعادة اكتشاف وجوه فرانسيس بايكون، التي تارة تظهر كشاهدة على الألم، وطوراً مغلّفة فيه.

هل كان بايكون «يتمرّن» على اقتفاء آثار العنف على «جلودنا» -غلاف أرواحنا- حين رسمها؟ بايكون فاجأه ألاّ يجد نفسه «معلّقاً هناك...».

بما يشبه البحث عن خلاص ما، بدأت شرف الدين هذا العمل بهدف رئيس «إيجاد منفذ لصور العنف التي باتت جزءاً من يومياتي. تلك الصور التي كلما شاهدتها كان خيال يدي يتحسّس أماكن وجهي».

على هامش المعرض، التقينا بالفنانة شذا شرف الدين. معها كان هذا الحوار:

دعوة للألم

● «خفة المشاهدة التي لا تحتمل» عنوان يحيلنا إلى كونديرا. عنوان جذاب ودعوة مغرية لرؤية الألم. كونديرا يطرح أيضاً في إحدى رواياته مشروعا للتخلص من ثقل الألم، وذلك

عبر تكرار طقوسه لدرجة التفريغ. هل هذا المعرض هو تمرينك الخاص في هذا الصدد؟

- سؤالك يحيلني إلى الإجابة عن طريقة عنوان ديوان لعباس بيضون وهو: «ربما، قليلاً، على الأرجح...». لكن مع الاعتذار من تشبيه نفسي بكونديرا، فهو تكلّم عن الألم الناتج عن القمع وسلب الفرد حريّته والكذب، بينما أنا أتعامل مع نتائج القمع ذاته، لكنها هنا مصحوبة بسلب الحناجر والعيون فعلياً. أتكلّم عن ألم من نوع آخر.

لم أكن أعرف ماذا أفعل بهذا الكمّ من العنف الذي أشاهده، كيف أتعامل معه، كيف أتخطّاه، وأتخطّى شعوري بالعجز حياله؟ كان الفنّ بالنسبة إليّ المَخرج الطبيعي لجعل العنف «مُحتمَلاً»، لكن أن نجعل العنف محتملاً، ألا يعني أن نجعله مقبولا؟

● وهل لنا الخيار سوى التعايش مع العنف؟

- المقصود بجعله محتملاً هو أن أستطيع متابعة حياتي بالرغم من وجوده من حولي. بكلام آخر، إن درجة من السيطرة الذهنيّة أو الفنيّة على العنف تمنحنا درجة من التمكين والقوّة في مواجهتها.

المفتاح

● يقول فرانسيس بايكون، الذي تصفينه بـ«المفتاح» لأنه ساعدك على التعبير عما يجول في خاطرك: «إذا كان بإمكانك الكلام.. فلماذا ترسم؟»، ما الذي عجزت عن التعبير عنه كلاميا فلجأت الى الصورة؟

- حين يكون الشعور قوياً إلى درجة العجز عن تسميته أو النطق به. حين يصير الألم «شكلاً» أو «مساحة»، أو «كتلة» تنبت في أنحاء من جسمك، لا كلاماً، عندها تصير الصورة هي المخرج، لن أقول المَخرج الأسهل، إنما الأقرب إليّ.

● هل كان تلوين وجهك في بعض الصور محاولة لفهم وجهة نظر الضحية. هل خطر ببالك للحظة التعبير عن وجهة نظر المعتدي؟

- الصور تعبير عمّا أشعر به حيال العنف الممارَس على جسد الآخر، العنف الجسدي أو النفسي، والفرق ضئيل بينهما. لم أفكّر في المعتدي خلال التصوير. همّي الأساس كان تجسيد ما أشعر به حيال ألم الآخر من جهة، والتماهي معه من جهة أخرى. أردت أن أكون الشاهد على الألم والمتألِّم في الوقت عينه. لا مكان هنا للمعتدي.

فالمسألة حين ننظر إليها من عين إنسانية وفنيّة معاً، تغدو مسألة نظر لا وجهة نظر.

تقنية جديدة

• بايكون استعمل وجوه أصدقائه؟ هل كان من الصعب عليك تشويه وجوه تعرفين أصحابها؟

- العمل أساساً هو تعبير عمّا أشعر به حيال العنف. وبما أنه كذلك، فلا مفر من استخدام وجهي حصراً. فضلاً عن ذلك، من الأسهل عليّ تشويه وجهي من تشويه وجوه الآخرين. أستطيع أن أفعل ما أشاء بوجهي وجسمي، وهو ما لا أشعر أني أستطيع فعله بالآخرين.

• المعرض يعتمد على ثلاثيات بايكون، إضافة إلى صور مروِّعة من مجازر النظام السوري، وعلى تقنيات لم نسمع بها سابقاً كالألمنيوم البارد.. اشرحي لنا منطق هذه التقنية، ودرجة انسجامها مع ثيمة المعرض؟

- ثلاثيتا بايكون كانتا مرجعي لثلاثيتين اثنتين، هما: «تمارين على صورة ذاتية 1 و2 و3».

أما الصور الأخرى، فهي مستوحاة من صور لأناس رأيتهم على «اليوتيوب»، أكثرهم قتلوا تحت التعذيب من جهة، ومن مشاعري حيالهم من جهة أخرى. استخدمت الألمنيوم، لأنه كان الأنسب للحصول على التشوّهات التي أردتها. إذ إن المصوّر طلال خوري، الذي صوّر هذا العمل، كان يصوِّر انعكاس وجهي على الألمنيوم لا وجهي مباشرة. وهكذا حصلنا على التشويهات و«الطعوجات» التي أردتها.

بلا رسالة

• شذا شرف الدين، الفنانة والكاتبة والمناصرة للثورة السورية بالدرجة الأولى، هل ثمة مشاريع أخرى للتضامن على طريقتك مع الألم السوري؟ أي رسالة يؤديها معرضك في هذا السياق؟

- ليس لعملي أن يؤدّي أيّ رسالة. صوري اقتراح لما تؤول إليه الروح حين تشهد على هذا الكمّ من العنف والألم، لا أكثر.

معرض شذا شرف الدين في غاليري أجيال، بيروت. افتتح في 20 نوفمبر، ويستمر إلى 15 ديسمبر 2012.

أعجبني كن أول المعجبين بهذا من بين أصدقائك.